

"حيرة" بدون التكوين

مواجهة مع "موجة الموت"

بقلم "كين هام" ، رئيس هيئة إجابات من التكوين

10 يناير 2005

الموت ليس جديدًا بالطبع على هذا الكوكب وأى شخص عاقل بما يكفى لفهم طبيعة الحياة سيعترف بهذه الحقيقة .

قضية فهم وتفسير الموت والمعاناة وربطها بإله محب صدمت وسائل الإعلام مرة أخرى كرد فعل لتسونامى المدمرة التى حدثت الشهر الماضى والتى أصابت البلاد المطلة على المحيط الهندى، كانت بحق "موجة موت" مفرعة .

مع عدد الموتى المتوقع أن يزيد على 170,000* بما فيهم آلاف الأطفال يحاول الناس مرة أخرى التصالح مع الحقائق القاسية للحياة والموت فى وجود إله يهتم بالجميع .

أذيع مؤخرًا على شبكة "سى إن إن" التليفزيونية لقاءات مع رؤساء أمريكا السابقين "جورج بوش" الأب و"بيل كلينتون" أجراها المذيع التليفزيونى "لارى كينج" عن مأساة تسونامى فى برنامج الشهير "لارى كينج على الهواء" .

طُرحت عدة أسئلة على الرئيسين "بوش" و"كلينتون" بشأن "إيمانهما" وكيف نفهم ما حدث فى "آسيا" فى إطار وجود إله محب . تكررت التصريحات القائلة أن "الحياة ليست سهلة" وقال كل من الرئيسين أن مثل هذه المأسى تقوى "إيمانهما" (بالرغم أن ما يستتبع ذلك "الإيمان" لم يُحدد) لكن للأسف لم تُعط إجابة حقيقية لملايين المشاهدين .

هذان الرجلان اللذان احتلا ذات يوم أقوى منصب فى العالم لم يستخدموا الكتاب المقدس ولا أول سفر فيه ، الموضح أصول كل شىء ، ليقدموا الإجابة . حقًا كانا "ضائعين ومحتارين بدون التكوين" غير قادرين على تفسير معنى الموت والمعاناة .

اشتهر "دان ليثا" ، رسام الكاريكاتير بهيئة "إجابات من التكوين" ، برسوماته التي تصور القضايا المعقدة بشكل بسيط جداً . آخر رسومات "دان" التي أطلق عليها " تسينامى " (فهو يلعب بالكلام ويذكرنا بـ"تسونامى") تتميز بأنها صورة تقول آلاف الكلمات وتذكر القراء بالحق الوارد فى سفر التكوين بشأن مصدر الخطية ونتائج الموت .



بدون التخفيف من الحزن الدامى الناتج عن الكارثة الأخيرة فإنى أؤمن بأن ما حدث يتكرر بصفة يومية ... وهو نتيجة لواقعة حدثت فى أسوأ يوم فى تاريخ الكون : عندما تمرد "آدم" على الله وجلب الخطية والموت إلى عالم كان يتصف بالكمال ذات يوم .

الموت الآن جزء "طبيعى" من هذا العالم "الغير طبيعى" . تأمل هذه الإحصائيات :

- يموت أكثر من 160,000 شخص كل سنة فى "أمريكا" وحدها نتيجة "إصابات غير مقصودة" وحوادث العربات (إحصائية من عام 2002)
- أباد النظام النازى حوالى 6 مليون يهودى أثناء محرقة اليهود .
- نتج عن الحرب الأهلية الأمريكية 620,000 حالة وفاة فى الستينيات فى القرن قبل الماضى .

- مات حوالي 3 آلاف شخص أثناء هجمات 11 سبتمبر الإرهابية (نيويورك وواشنطن العاصمة وبنسلفانيا) .

عندما تحدث كارثة كبيرة وتجذب أنظار العالم كله تكثر المناقشات في مختلف وسائل الإعلام عن محاولة فهم ما حدث وربطه بوجود إله محب وكثيراً ما يُسال القادة المسيحيين عن آرائهم. في الوقت نفسه يعلن مناصرو المبادئ الإنسانية أنه لا يمكن أن يوجد إله محب بسبب هذه الكوارث المريعة .

لكن فكر فيما يلي من "زاوية أكبر" :

١. بصراحة كل من مات في التسونامي كان سيموت في أى يوم من الأيام لأنهم نسل "آدم".
الجميع أخطأوا في "آدم" وحُكم عليهم بالموت . "الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله"
(رومية 3 : 23) و"كما وُضع للناس أن يموتوا مرة ثم بعد ذلك الدينونة" (العبرانيين 9 : 27) .

٢. كل الناس اليوم محكوم عليهم بالموت وسيموتون (إلا إذا جاء الرب يسوع لأنه سيأتى يوماً ما ، للدينونة النهائية) .

سبب الموت (كما توضح الصورة التي رسمها "دان") هو أن كل البشر خانوا الله لأنهم أخطأوا في "آدم" . يوضح لنا الكتاب المقدس في [رومية 5](#) أن ما فعله "آدم" ، فعلناه نحن ، لأننا نسله وورثنا طبيعته . كلنا عصينا وصايا الله كما فعل "آدم" .

لأننا عصينا الله (خطيتنا) فقدنا حقنا في الحياة . ومع ذلك فאלله المحب كلى المعرفة والحكمة والقوة علم ما كان سيحدث فأعد خطة لخلاص البشرية من قبل حتى أن يخطيء "آدم" . (في نفس الوقت لا نرغب في الاستنتاج بأن الله تجاوب مع حادثة غير متوقعة وحدثت بدون مشيئته فالله لم يقرر شيئاً لأنه رآه كمستقبل وهو بحكمته ومشورته المقدسة ومشيئته التي لا تتغير أمر كل شيء أن يحدث) .

أعد الله [خطة للخلاص](#) حتى يتم دفع أجرة الخطية (بواسطة إنسان كامل - الله صار إنساناً ، ابن الله ، الرب يسوع المسيح) واحتمل الموت وحمل ذنب خطيتنا (بموته على الصليب) وقهر الموت (بقيامته) حتى تتاح عطية الخلاص المجانية للجميع . "لأنكم مخلصون بالنعمة بالإيمان

وذلك ليس منكم . هو عطية الله . ليس من أعمال كي لا يفخر أحد" (أفسس 2 : 8 - 9) .

القصد هو : إننا نستحق الموت . في الواقع إننا نستحق أكثر من هذا بكثير ، نستحق الهلاك في جهنم للأبد . لكن إلهنا إله محب (عرف أننا سنخطيء) وخطط لدخول التاريخ ليحمل عنا خطيتنا ويمدنا بوسيلة تؤهلنا للتصالح مع الله والحياة معه إلى الأبد .

يفسر لنا الكتاب المقدس سبب موتنا . كل حالة موت يجب أن تذكرنا أننا خطاة نحتاج لعطية الخلاص المجانية التي دفع ثمنها الرب يسوع المسيح بدلاً منا .

يشرح لنا أيضاً الكتاب المقدس سبب حدوث الكوارث . رومية 8 : 19 - 23 يخبرنا بأن "كل الخليقة تنن" بسبب الخطية .

كولوسي 1 : 15 - 17 يوضح لنا أن يسوع المسيح يحمل كل شيء بكلمة قدرته وإننا موجودون فقط بسبب قوة الله . في البدء وقبل الخطية كانت السيادة الكاملة لله على كل شيء ، كان لا يمكن حدوث كوارث أو موت أو آلام (كان لا يمكن وجود ملايين السنين من الموت قبل أن يخطيء "آدم" كما يفسر البعض أسباب وجود الحفريات) . لكن بسبب الخطية واللعنة (تكوين 3 : 14 - 19) سحب الله بعضاً من قوته الحاملة لكل شيء حتى لا يسير أى شيء في الكون بكمال . فكل شيء يئن ويتألم تحت اللعنة .

الحقيقة إننا نعيش في عالم نستطيع أن نختبر فيه طعم الحياة بدون الله . عندما أخطأنا في "آدم" كأنا قلنا أننا نريد أن نحيا بدون الله . إذا أعطانا الله "ما طلبناه" ما كان لنا وجود لكن كان لا بد أن الله يحكم على الخطية وحكم عليها بجلب الموت (يصفه الكتاب المقدس بالعدو) إلى عالمنا والآن الله لم يعد يسود على كل شيء بكمال .

كوارث مثل تسونامي يجب أن نذكرنا جميعاً أننا سبب هذه المآسى لأننا خطاة . في الوقت نفسه لا بد أن نتذكر أن الله محب وأعطانا عطية الخلاص "وهو لا يشاء أن يهلك أناس بل أن يقبل الجميع إلى التوبة" (بطرس الثانية 3 : 9) .

ولأنه إله محب وسيحاسبنا لا بد أن نطيع كلمته التى تعلمنا أن نترأف بالآخرين ونساعدهم بكل ما بوسعنا ونشاركهم أعمالهم (مزمو ر 72 : 13 / أمثال 14 : 21 و 28 : 27 / متى 25 : 34 - 38 / غلاطية 6 : 2 / يعقوب 2 : 15 - 17) . ونحن البشر (من خلال خطيتنا فى "آدم") مسئولون عن هذه الكارثة لذا علينا أن نشترك فى معالجة النتائج المترتبة عليها .

أكثر شىء يصعب علينا فهمه هو موت الأطفال "الأبرياء" ظاهريًا والحزن الأليم لأى شخص يفقد ابنًا له (أو زوجة... إلخ) .

أولاً ، ليس أحد بريئًا "الجميع أخطأوا وأعوزهم مجد الله" (رومية 3 : 23) لذا محكوم علينا بالموت منذ اللحظة التى حُبَل بنا فيها .

ثانيًا ، رغم الخسارة التى يختبرها أى شخص حزين إلا أننا يجب أن نوجه غضبنا إلى الخطية وليس إلى الله الذى خلق فى البدء عالمًا كاملاً بدون موت . (خلق كل شىء "حسن جدًا" - تكوين 1 : 31) .

ثالثًا ، رغم أن البعض يقول أنه ليس من "الصواب" أو ليس من "العدل" أن يموت أطفال صغار فى مثل تلك الكارثة إلا أن المؤمنين يؤمنون بإله غير محدود (وبالتالى يقرون أن الله السلطان المطلق) قادر على تحديد معنى "الصواب" و"الخطأ" ... "الجيد" و"السيء" ... أو "العدل" و"الظلم" . من لا يقبل هذا السلطان المطلق ليس له الحق ليصدر أحكامًا أدبية بشأن العدل والصواب/الخطأ . الرب يسوع رد مرة على شخص جاء يسأله "لماذا تدعونى صالحًا ؟ ليس أحد صالحًا إلا واحد وهو الله" (متى 19 : 17) .

رابعًا ، يقول البعض إذا كان الله كلى القدرة فكان الواجب أن يوقف هذه الكارثة . حتى لو الله يستطيع (وهو من المؤكد أنه عمل ذلك مرارًا بدون أن ندرك أبعاد حمايته له) علينا أن نتذكر أننا لم نعد نعيش فى عالم كامل . حتى الدينونة النهائية سيظل الموت يلاحق الناس وستتكرر المصائب الواحدة تلو الأخرى ، وقد تزداد درجة خطورتها مستقبلاً فى الوقت الذى تسوء فيه أمور عديدة فى هذا العالم . والله كإله غير محدود القدرة لا بد أنه يرى أسبابًا جيدة تسمح له باستمرار حدوث مثل هذه الأشياء فى الوقت الحالى لكننا لا نستطيع دائمًا أن نعرف هذه الأسباب . كما يقول "لأنه كما علت السموات عن الأرض هكذا علت طرقى عن طرقكم

وأفكارى عن أفكاركم" (إشعياء 55 : 9) .

خامسًا ، يسأل البعض عن طفل (أو حتى رجل بالغ) لم يسمع بشارة الإنجيل وبالتالي لم يحظ بفرصة لقبول عطية الخلاص المجانية . الكتاب المقدس يوضح أن معرفة الله مكتوبة في قلوبنا ومعلنة في الخليقة حولنا وأنه لا عذر لهم إذا لم يبحثوا عن الله (رومية 1 : 18 - 20) . ويعلن الكتاب أيضًا أننا إذا طلبنا الله سنجد له طلبنا بكل قلوبنا (إرميا 29 : 13) . الله يعرف قلب كل فرد وماذا فعل بالحق الموجود في ضميره وفي الخليقة .

بالنسبة إلى الأطفال الصغار (بما فيهم الرضع أو حتى الأجنة) فإننا لا نملك كل الأجوبة لأننا كائنات محدودة لكن كما قال "إبراهيم" أديان كل الأرض لا يصنع عدلاً؟" (تكوين 18 : 25) . فليستريح المؤمنون ، رغم الحزن المرير الذي نخبره من آن لآخر ، في معرفة أن إلهنا المحب والغير محدود الذى دفع عنا ثمن خلاصنا سيفعل الصواب . لن يوجد ظلم .

أما بالنسبة لغير المسيحيين فلماذا يمثل الموت قضية كبيرة ؟ من وجهة نظر الملحد موت الشخص هو نهاية وجوده . لن يعرف أنه كان موجودًا حتى ولن يعرف أى شئ عن الحياة وعن مسرات أو عذابات هذا العالم . وليس ذلك فقط بل إذا كان الكون يسوء وكل أشكال الحياة تموت (كما ينادى علماء التطور) لن يعرف أحد أن أى شخص كان موجودًا مهما بلغ إسهام ذلك الشخص في تقدم البشرية . مثل هؤلاء الناس يؤيدون الإجهاض ويقتلون كل يوم 3500 نفس بشرية في الولايات المتحدة الأمريكية وحدها . لماذا لا يعنى لهم موت هذه الأنفس البشرية على الرغم من شكواهم من موت الملايين في تسونامى ؟ يا له من موقف متناقض وحالة ميئوس منها !

التكوين هو أول سفر في الكتاب المقدس ، وهو سفر له أهمية بالغة لبدء معالجة قضية الموت والمعاناة لأن مصدر الموت نفسه مسجل في الأصحاحات الأولى من هذا السفر . فالمرء "يقع في حيرة شديدة بدون سفر التكوين" لتفسير حقائق الحياة والموت .

وبالنسبة لمن لا يؤمنون أن الكتاب المقدس هو كلمة الله وبالتالي ينكرون أنهم خطاة في حاجة للخلاص فإنهم "هاكون بدون التكوين" ، فقد رفضوا عطية الخلاص المجانية وسيظلون إلى الأبد منفصلين عن الله في مكان يُدعى بـ "الجحيم" . وتذكر يا صديقى أن الله المحب ليس

المسئول عن ذهاب الناس إلى الجحيم . الجميع أخطأوا بمعنى أن كلنا حكمنا على أنفسنا بالذهاب إلى الجحيم . لكن إلهنا المحب تدخل ليمنحنا هبة مجانية تنقذنا من الجحيم .

رغم أن المسيحيين لا يمتلكون كافة الأجوبة (وهذا شيء لا يتوقعه أحد لأننا كائنات محدودة) لكن المسيحية وحدها تفسر أصل الموت وتعطي فهمًا حقيقيًا لمعنى الحياة . المسيحية وحدها تمنح رجاءً أكيدًا لحياة أبدية مع الله . الكتاب المقدس هو الكتاب التاريخي **الوحيد** الحقيقي الذي يعطي المعنى الحقيقي لكل أوجه الواقع . الكتاب المقدس فقط هو الذي يعطي "خلفية واسعة" للتاريخ تمكننا من فهم هذا العالم المتناقض بما فيه من حياة وموت وتمكننا من الإيمان بإلهنا المحب وسط كل الآلام والمعاناة التي نجدها في حياتنا .

حقًا ، تسونامي التي حدثت في 26 ديسمبر كانت "موجة موت" رهيبية لكن أقطع "موجة موت" حدثت منذ 6 آلاف سنة في جنة "عدن" ومازالت تعيثُ فسادًا على الأرض حتى الآن . حمدًا لله لأنه سينهى "موجة الموت" في يوم من الأيام عندما يُطرح الموت نفسه في بحيرة النار .

نقطة أخيرة جديرة بالتأمل ، سيظل البعض يفكر في تسونامي ويتسائل بجهل عن سبب حدوثها . تفرض علينا هذه التساؤلات رد فعل معيّنًا نحو مثل تلك الأحداث ونحو الله . ومن يسأل بجهل "لماذا يسمح الله المحب بحدوث كارثة مثل هذه؟" يلوح بقبضته البشرية الضعيفة في وجه إله بار وكلّي القدرة ويكمل مسيرته نحو دينونة أبدية .

لكن هناك سؤال يجدر بنا أن نسأله ... وهو سؤال يؤدي إلى إجابة مناسبة . لماذا يمد إله قدوس وكلّي القدرة نعمته المخلصة إلى شخص غير مستحق مثلي ؟ هذا السؤال يدفعنا إلى حياة لا بد أن نعيشها بتواضع وإلى تقديم السجود لإله رحيم ومحب .

* عدد القتلى الرسمي لضحايا تسونامي اعتبارًا من 7 يناير 2005